أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحقوق المرأة

نورة بنت عبدالله الحساوي *

برز موضوع حقوق المرأة في واقعنا المعاصر بصورة واضحة جداً محلياً وعالمياً. ويعد كل من المعاهدتين العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[١]، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة – سيداو[٢]، الأكثر صلة بحقوق المرأة على المستوى الدولي. وتركز هاتان المعاهدتان على عدد من الحقوق الرئيسة، وتؤكد على ضرورة توفرها للنساء، وحماية حقهن في المطالبة بها، في إطار عام من المساواة التامة. وتتركز تلك الحقوق في[٣]:

١- الحق في العمل.

٢- الحق في الضمان الاجتماعي بما في ذلك التأمينات الاجتماعية.

٣- الحق في الغذاء.

---

* أستاذة مشاركة بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن -الرياض.

١- ICESCR. انظر: موقع الأمم المتحدة وفيه نص المعاهدة.
https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CESCR.aspx

٢- CEDAW. انظر: موقع الأمم المتحدة وفيه نص المعاهدة.
https://www.ohchr.org/ar/professionalinterest/pages/cedaw.aspx

٣- مقتطفات من دليل إحقاق حقوق المرأة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الشبكة الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالشراكة مع منظمة مراقبة حقوق المرأة الدولية في آسيا والمحيط الهادئ، ٢٠١٣م.
https://www.escr-net.org/sites/default/files/claiming_womens_escr_manual_excerpts.pdf

٤- الحق في السكن.

٥- الحق في التعليم.

٦- الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة البدنية والنفسية.

٧- الحقوق الثقافية.

٨- الزواج والأسرة.

وتتولى مجموعات حقوق المرأة - وهو الاسم الذي يطلق على: الناشطات الحقوقيات، والمنظمات النسوية، والحركات النسوية – الدفاع عن حقوق المرأة بالعمل المنظم والمستمر من أجل تطبيق المعاهدات المذكورة أعلاه، وما يرتبط بها من معاهدات أخرى. كذلك تركز تلك المجموعات على القوانين المحلية والتقاضي والترافع كوسيلة استراتيجية لتغيير التقاليد المجتمعية والثقافات المحلية بما يؤدي إلى تطبيق المعاهدات الدولية(٤).

وموضوع حقوق المرأة من المنظور الأممي أحد الموضوعات التي تعرضت للنقد والمعارضة في كثير من المجتمعات الإسلامية من منطلق مخالفة عدد من جوانب ذلك المنظور لتعاليم الدين الإسلامي. وتعد النساء المسلمات من أبرز الفاعلين في هذا المجال، سواء من حيث قبول بعضهن لحقوق المرأة وفقاً لرؤية حقوق الإنسان العالمية أو من حيث نقد البعض الآخر لبنودها، وهو أمر متوقع نظراً لكون حقوق المرأة متعلقة بهن في المقام الأول. من هنا برز التساؤل عن المجتمع المسلم الأول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكيفية تعامله مع حقوق المرأة. فلا شك أن المرأة العربية عانت من الظلم إلى أن جاء الإسلام وغير أوضاعها تغييراً كبيراً، والسؤال المهم هنا هو: كيف شاركت المرأة المسلمة في هذا التغيير؟ مما حمل الباحثة على أن تدقق في حياة إحدى النساء التي نقلت الروايات الحديثية اهتمامها بنصرة النساء والمدافعة عن حقوقهن، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وذلك سعياً للخروج بنموذج يقدم إجابة واضحة للسؤال المطروح.

٤- المرجع السابق.

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إحدى الشخصيات الإسلامية العظيمة التي تركت أثرا على حياة كل مسلم ومسلمة، فقد نقلت لنا الكثير من الأحاديث النبوية، كما حملت لنا أحداث حياتها ما لا يحصى من الدروس والعبر. وقد بلغت عائشة رضي الله عنها مكانة عالية في العلم والإفتاء، وكانت من أهل الحل والعقد في مجتمعها(٥).

وكان من أبرز جهودها الاهتمام بقضايا النساء ورفعها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، كما كانت تشارك في الحياة العامة، بالإضافة إلى كونها من أبرز العلماء في وقتها، مما يجعلنا بحاجة إلى إبراز هذا النموذج المهم لتكون نموذجاً للنساء في حاضرنا المعاصر، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، بعنوان: "أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحقوق المرأة".

مشكلة البحث:

تحظى قضايا المرأة في واقعنا المعاصر بزخم ثقافي وتأثير إعلامي، ويحتاج تناول مثل هذه القضايا إلى منهجية معتدلة تراعي الهوية الدينية للمرأة المسلمة، وتحافظ على حقوقها في الوقت ذاته. إلا أن من الملاحظ وجود نماذج من الناشطات اللاتي يتبعن في مطالبتهن بحقوق النساء منهجية تحمل معالم الصدام مع قيم المجتمع وتقاليده، كما يوجد نماذج من النساء اللاتي يطالبن النساء بالمحافظة على تقاليد المجتمع حتى لو تضمنت ظلماً للمرأة وضياعاً لحقوقها. وكلا الفريقين لا يبدو أنه يحرص على التمييز بين الصحيح الذي يستحق أن يعتز به المجتمع من تقاليده، وبين الخاطئ الذي ينبغي التوقف عنه وتوعية المجتمع بأضراره. لذا فإن هذا البحث يطرح السؤال عن المنهج المعتدل للمرأة المسلمة التي تطالب بحقوقها وحقوق غيرها من النساء، وفي الوقت نفسه تحافظ على هويتها وتتبع تعاليم دينها. ويتوجه هذا البحث إلى إيجاد مصدر لهذه المنهجية في رحاب السنة

٥- ذكر أبو عبد الله محمد بن سعد ابن سعد في **الطبقات** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ) ج٢، ص٣٧٤، عائشة رضي الله عنها مع العلماء المبرزين، وساق طائفة من الآثار التي تذكر علمها، ولجوء الصحابة إليها يسألونها ويستنيرون برأيها، رضي الله عنهم جميعا.

النبوية، وعلى الأخص في سير الصحابيات بوصفهن نساء عاصرن الجاهلية بما فيها من ظلم للمرأة، وعاصرن نزول القرآن الذي شرع إكرامها وحمايتها، كما عاصرن التغيرات للعادات المجتمعة ظل التوجيهات النبوية. فكان من الضروري تطبيق التشريع الإسلامي الجديد على المجتمع على أرض الواقع، والسؤال عما تحتاجه المرأة من حقوق، والمطالبة بما لم يصلها منها. وهو ما حرصت الصحابيات رضي الله عنهن على فعله. إلا أن عائشة رضي الله عنها برزت في هذا المجال أكثر من غيرها نظراً لمكانتها بوصفها زوجة النبي عليه الصلاة والسلام، ولسعة علمها، ولقوة شخصيتها، وبذلها الجهد في المطالبة بحقوق النساء ورفع الظلم عنهن. لذا فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تمثل أنموذجاً تطبيقياً يوضح معالم تلك المنهجية سواء من خلال النصوص التي روتها، أو من خلال أفعالها التي قامت بها فيما يتعلق بحقوق المرأة في زمنها.

أهداف البحث:

للبحث هدفان رئيسان، هما:

١- الإسهام في تقديم منهجيات للمطالبة بحقوق النساء تتسم بالاعتدال، وتستمد من تاريخنا الغني.

٢- الإسهام في تقديم سير الصحابة الكرام في إطار مرتبط بالواقع للاستفادة منها في معالجة قضايا العصر.

ثانياً: الدراسات التي تناولت ذوات العلم من النساء المسلمات اللاتي نشطن في الدفاع عن حقوق المرأة:

لا يوجد الكثير من الدراسات التي تبحث في دور النساء المسلمات العالمات بالدين في المطالبة بحقوق المرأة. وبعد البحث توصلت الباحثة إلى الدراستين الآتيتين:

١. "إنشاء شبكات من أجل القوة والتغيير: نشاط المرأة المسلمة وتحوّل المجال العام الإسلامي"، وهي رسالة دكتوراه أعدتها رهام أشرف باهي[٦]. تشير هذه الدراسة إلى أن

6- Bahi, Riham Ashraf, **"Networking for power and change: Muslim women activism and the transformation of Muslim public sphere" 2008**. Public and International Affairs Dissertations. Paper 4. http://hdl.handle.net/2047/d10016508.

العالمات المسلمات من خلال تناولهن للقضايا المتعلقة بالمرأة، فإنهن يقاومن التشدد في التعامل مع النساء كما يقاومن الهيمنة الغربية في الوقت نفسه[٧]. وتلخص رهام الخيارات التي يطرحها من تسميهم بـ "التقدميين المسلمين" إلى ثلاثة خيارات توضح ثلاث منهجياتهم في التعامل مع قضايا المرأة وحقوقها بشكل عام، وهي:

الخيار الأول: الاعتماد على مذاهب الفقهاء الراسخة كقانون موثوق به، واستخدام نهج انتقائي للاختيار من بين الأقوال المختلفة للعلماء[٨]. هذه المنهجية ليست تعسفية فحسب، بل تفشل أيضًا في إزالة التحيز ضد المرأة في داخل المجتمعات الإسلامية.

الخيار الثاني: اتباع ما جاء في المصادر الإسلامية الأولية دون مناقشة أو مراجعة. هذا الخيار يعطل سلامة التقاليد الإسلامية واستمراريتها.

الخيار الثالث: النظر في المذاهب مع تقديم تفسيرات إبداعية ترجع إلى كل من المصادر التقليدية والافتراضات المعرفية للفقه في ضوء المنهجية التأويلية المعاصرة[٩].

وخلصت رهام في دراستها إلى أن "قضية المرأة المسلمة" كانت جانبًا رئيسًا من جوانب النقد الغربي للإسلام. حيث تنشر الأدبيات العلمية ومناقشات السياسة العامة في الغرب رواية محدودة عن المرأة المسلمة على أنها متخلفة، تقليدية، محجبة، منعزلة، لا صوت لها، مضطهدة، وتحتاج إلى التحرير من خلال التدخل الإمبريالي. كما لعبت وسائل الإعلام دور الناشر الأساسي لهذه الصورة. لذا فهي تقدم بحثها كاقتراح لإعادة التفكير في دور الدين في الجدل النسوي المعاصر من

٧- المرجع السابق.

٨- وبمعنى آخر: تتبع الرخص.

٩- المرجع السابق، ص ١٣٨.

أجل صياغة أحكام سياسية مستنيرة حول مكانة المرأة في المجتمعات الإسلامية، وترى أن أصوات النساء المسلمات عوامل فاعلة لحداثة أصيلة متجذرة في إيمانهن، قد يؤدي إلى تحول النسوية نفسها. كما تؤكد على أنه يجب التشكيك في الطابع الاختزالي لتأطير قضايا المرأة المسلمة[١٠].

٢. "نشاطية[١١] المرأة الإسلامية[١٢] في العالم العربي: إمكانيات وتحديات الجهات الخارجية" وهو تقرير أعدته جولي إليزابيث بروزان يورجنسن لوزارة الخارجية الدنماركية، كجزء من مشروع أوسع يهدف إلى المساهمة في تعزيز فهم القيم والجهات الفاعلة، ومساهمات الحركة النسائية الإسلامية في المنطقة العربية، ولتحليل ما إذا كان التعاون الإنمائي

١٠- المرجع السابق، ص ٢٦٤.

١١- Activism كلمة باللغة الإنجليزية تترجم إلى: نشاطية، وقريبا منها كلمة المناصرة، إلا أن المناصرة أشمل. ويمكن فهم معنى النشاطية من خلال فهم معنى المناصرة. حيث تعني المناصرة في إطار حقوق المرأة: نظام من الإجراءات التي تهدف إلى التأثير على" صناع القرار" لاتخاذ قرار ملموس يهدف إلى تغيير المواقف والسياسات، بما في ذلك القوانين والممارسات، من خلال أربعة أنواع رئيسة من النشاط، وهي: التوعية والتعبئة، تعزيز قدرات الجهات الفاعلة أو المجموعات المعنية، إقامة شبكات أو تحالفات مع الشركاء المعنيين من الحكوميين وغير الحكوميين، والضغط على صناع القرار الرئيسيين. انظر: عماد الزواري وهادية بلحاج يوسف، **مجموعة أدوات لمناصرة حقوق المرأة في ٧ خطوات**، ٢٠١٩، مؤسسة نساء الأورو متوسط.

https://docs.euromedwomen.foundation/files/ermwf-documents/8325_%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9%D8%A3%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1%D8%A9.pdf

وانظر أيضا:

Stephen Hall, Advocacy versus Activism: What is the difference? https://ruminating.org/news/advocacy-versus-activism-what-is-the-difference/#:~:text=Activism%20is%20described%20as%20taking,a%20political%20or%20social%20goal.&text=Advocacy%20is%20often%20seen%20as,from%20one%20to%20the%20other.

١٢- ذكرت يورجنسن في تقريرها أن الناشطين الإسلاميين عبارة تشمل مختلف الجماعات والأفراد كالعلماء، والعاملين في المجالات الخيرية، ومقدمي الرعاية الاجتماعية، والناشطين الدينيين أو السياسيين، الذين يعملون على تمكين المرأة بناء على الحجج والمراجع الإسلامية ص ٥. وعرفت العلماء الناشطين بأنهم أولئك الذين لا يساهمون فقط في المناقشات المجتمعية بطريقة أكاديمية بحتة، ولكنهم أيضًا يأخذون دورًا صريحًا كناشطين اجتماعيين من خلال المناصرة العامة، وعضوية النساء المنظمات وما إلى ذلك، ص ٣٤.

الدنماركي ممكناً مع النساء المسلمات الناشطات بهدف تعزيز المساواة بين الجنسين وتعزيز حقوق المرأة[١٣]. وقد خلصت يورجنسن في تقريرها إلى ثلاث نتائج:

النتيجة الأولى: العديد من الناشطات الإسلاميات لا يريدون حقوق المرأة "العالمية" كما تمت صياغتها في اتفاقيات الأمم المتحدة (لا سيما الاتفاقية من أجل القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، سيداو) ويعارضون بشدة محاولات فرضها عليهم.

النتيجة الثانية: بينما ترفض هؤلاء الناشطات الإسلاميات النظام العلماني ومعه الاتفاقيات الصادرة عنه، إلا أنهن يؤكدن تمامًا أن النساء يحق لهن التمتع بمجموعة واسعة من الحقوق والحريات التي قدمها الإسلام لهن، وهن ملتزمات بشدة بالعمل من أجل تنفيذها وتعزيز العدالة والإنصاف في مجتمعاتهم.

النتيجة الثالثة: في حين أن نشاط الإسلاميات مكمل مهم للنهج العلماني، فإنه يمثل من وجهة نظرها عدداً من المخاطر والتحديات لتعزيز تمكين المرأة العربية. فقد يؤدي نشاط المرأة الإسلامية أيضًا (إلى إعادة) إضفاء الشرعية على التقاليد والممارسات الأبوية القمعية، وتهديد الحريات الفردية.

يسعى هذا البحث إلى تقديم نموذج لتعامل النساء المسلمات العالمات مع حقوق المرأة، حيث يهتم باستنتاج منهجية عائشة رضي الله عنها في التعامل مع قضايا المرأة والمطالبة بحقوقها. حيث انتقل المسلمون رجالاً ونساءً في العهد النبوي، وخلال فترة وجيزة، من الدين والثقافة لمجتمع غير مسلم، إلى مجتمع مسلم يؤسس حياته على الوحي الإلهي، ويقوّم ثقافته بتعاليم الإسلام. هذا الانتقال تطلب وجود "ناشطين حقوقيين" كما يسمون بلغة العصر يعملون على إيصال أصوات

13- Julie, Islamic women's activism in The Arab World: Potentials and Challenges for External Actors. 2012, Danish Institute for International Studies DIIS). https://www.diis.dk/files/media/publications/import/extra/rp2012-02-islamic-womens-activism_web_1.pdf

النساء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. ومن خلال هذا البحث سيتم تناول أمثلة على ذلك الانتقال، والمنهجية التي استخدمت للتعامل معه بهدف إيصال حقوق المرأة التي كفلها لها الإسلام، وذلك في ضوء ما ورد عن عالمة مسلمة من ذلك العصر، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

حدود البحث:

الحدود الزمنية: مدة حياة عائشة رضي الله عنها.

الحدود الموضوعية: حقوق المرأة فيما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سواء مما حصل معها وروته أو رواه غيرها، أو مما حصل مع غيرها من الصحابيات وروته هي.

الحدود البشرية: محيط أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الرجال والنساء سواء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي الاستقرائي المعتمد على التحليل، حيث تحلل الباحثة الأحاديث والآثار المتعلقة بموضوع البحث للخروج بمعالم منهجية أم المؤمنين رضي الله عنها في التعامل مع قضايا المرأة والمطالبة بحقوقها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة: وفيها بيان أهمية موضوع البحث ومشكلة وأهدافه، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

الفصل الأول: مستويات حقوق المرأة عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: على المستوى الشخصي.

المبحث الثاني: على المستوى الاجتماعي.

المبحث الثالث: على المستوى الاقتصادي.

المبحث الرابع: على المستوى العلمي.

المبحث الخامس: على المستوى السياسي.

الفصل الثاني: منهج أم المؤمنين في التعامل مع حقوق المرأة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: مصادر المعرفة لدى أم المؤمنين ومنهجها في التلقي والاستدلال.

المبحث الثاني: المطالبة المبنية على العلم والاستقصاء.

المبحث الثالث: الموازنة بين المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات.

المبحث الرابع: الشجاعة في إبداء الرأي مع الالتزام بالحياء والأخلاق النبيلة.

المبحث الخامس: تقدير الذات.

المبحث السادس: الرجوع للحق والاعتراف بالخطأ.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج العلمية للبحث وتوصياته.

وقد تم تقسيم البحث إلى قسمين رئيسين: يتناول الأول تعامل أم المؤمنين مع الحقوق في المجتمع النبوي، فيما يتناول الثاني المنهجية التي اتبعتها في ذلك التعامل.

الفصل الأول: مستويات حقوق المرأة عند أم المؤمنين

تتعدد مجالات حقوق المرأة بحسب من يتناولها، إلا أنها تتركز بصفة عامة في أبرز مجالات حقوق المرأة التي برزت في أحاديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، سواء فيما روته عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما روت سبب وروده مما حدث لها أو لغيرها من الصحابة، أو ما رواه عنها أحد منهم، رضي الله عنها وعنهم.

ويتناول هذا البحث الحقوق على المستويات الآتية:

أولاً: المستوى الفردي.

ثانياً: المستوى الاجتماعي.

ثالثاً: المستوى الاقتصادي.

رابعاً: المستوى العلمي.

خامساً: المستوى السياسي.

وسيُقتصر في كل مستوى على مثالين اثنين فقط مراعاة لعدم الطول.

المبحث الأول: الحقوق على المستوى الفردي:

تتضح ملامح حقوق المرأة على المستوى الفردي في نواحٍ عدة، منها: الكرامة الإنسانية، حق الحياة، حرية التعبير، وحرية الفكر والرأي، وغيرها، وسنقتصر من ذلك على مثالين، هما: حق الكرامة الإنسانية، وحق حرية التعبير.

١ - الكرامة الإنسانية:

المستقرئ لسيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يلاحظ الحس العالي لديها بكرامة الإنسان، يتضح ذلك في أمور مختلفة كانت تحرص عليها أشد الحرص، كرفع حوائج الناس وأسئلتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والسعي في دفع الظلم وخاصة عن النساء، ودعمها لبريرة رضي الله عنها لتنال حريتها، وغير ذلك.

بلغ أم المؤمنين الحديث الذي رواه بعض الصحابة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود"(١٤).

وذكر هذا الحديث عند عائشة رضي الله عنها، فكان ردها:" قد شبهتمونا بالحمير والكلاب، والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة

١٤- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** بهذا اللفظ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، رقم الحديث: ٥١٠، ج١، ١٩٢، ومسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ٥١٠ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ) ج١، ص٣٦٥، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم، رقم الحديث: ٥١١، ج١، ص٣٦٥.

مضطجعة، فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنسل من عند رجليه"[١٥].

ويتضح من رد أم المؤمنين رضي الله عنها فهمها لمكانة المرأة عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي قد نفت نفياً قاطعاً أن المرأة تقطع الصلاة، وكان ردها رداً مبنياً على نقل وعقل، فمن ناحية نقلت فعل النبي عليه الصلاة والسلام، والذي يناقض قطع المرأة للصلاة، إذ لو كانت تقطع الصلاة ما صلى وعائشة مستلقية بين يديه، ومن ناحية أخرى وجهت عقل الناقل للخبر إلى نقد الرواية التي يرويها، فالمرأة لا تساوى بالدواب، ولا تشبه بها.

والرد ذاته صدر من ابن عباس رضي الله عنهما، وقد ذكر عنده: "يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة"، قال: "بئسما عدلتم بامرأة مسلمة كلباً وحماراً، لقد رأيتني أقبلت على حمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، حتى إذا كنت قريباً منه مستقبله نزلت عنه، وخليت عنه، ودخلت مع رسول الله في صلاته، فما أعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته، ولا نهاني عما صنعت، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس فجاءت وليدة تخلل الصفوف حتى عاذت برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته، ولا نهاها عما صنعت، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد فخرج جَدْي من بعض حجرات النبي صلى الله عليه وسلم يجتاز بين يديه فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم". قال ابن عباس: "أفلا تقولون الجدي يقطع الصلاة؟"[١٦].

١٥- أخرجه البخاري، **صحيح بخاري**، رقم الحديث: ٤٨٩، ج١، ص١٩٢. ومسلم – اللفظ له- رقم الحديث: ٥١٢، ج١، ص٣٦٦. وفي رواية البخاري أنها قالت:" لقد جعلتمونا كلاباً".

١٦- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، رقم الحديث: ٢٢٢٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ) ج٤، ص٩٥. عن علي بن عاصم، عن أبي المعلى العطار، عن الحسن العرني عن ابن عباس رضي الله عنهما، والإسناد ضعيف لضعف علي بن عاصم، كما أن سماع الحسن من ابن عباس لم يثبت كما جاء في **جامع التحصيل** جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد بن خليل العلائي (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ) ص١٦٦، إلا أن له متابعات في **مسند أحمد**

وجمهور العلماء يقولون: لا يقطع الصلاة شيء، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم، ويقول أحمد أنه يقطع الصلاة الكلب الأسود فقط، وهو قول عائشة رضي الله عنها[١٧].

٢- حرية التعبير:

إن أبرز الحقوق التي تحتاج المرأة لممارستها عند المطالبة بحقوقها هو حق حرية التعبير، فكيف تستطيع توضيح دعواها وتحديد الحق الذي تطالب به إذا لم تكن قادرة على التعبير عن حاجتها بصراحة.

جاء في **صحيح البخاري**[١٨]، من طريق عكرمة، أن رفاعة طلق امرأته[١٩]، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير[٢٠] القرظي. قالت عائشة: "وعليها خمار أخضر، فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - والنساء ينصر بعضهن بعضاً- قالت عائشة: ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها. قال: وسمع أنها قد أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله مالي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه. وأخذت هدبة من ثوبها. فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشز تريد رفاعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فإن كان ذلكِ، لم تحلي له - أو لم تصلحي له- حتى يذوق من عسيلتك". قال: وأبصر معه ابنين له، فقال:" بنوك هؤلاء"؟ قال: نعم. قال:" هذا الذي تزعمين ما تزعمين؟ فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب".

طريق صهيب البكري ٢٠٩٥، ويحيى الجزار ٢٦٥٣، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ١٨٩١، عن ابن عباس ببعضه، فيرتقي إلى الحسن لغيره، والله أعلم.

١٧- انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار** (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ج٢، ص٨٣-٨٤.

١٨- ٥/ ٢١٩٢٥٤٨٧.

١٩- واسمها تميمة بنت وهب على الراجح، انظر: الخطيب البغدادي، **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**، ج٨، ص٥٠٦.

٢٠- بفتح الزاي، انظر: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، **تصحيفات المحدثين** (القاهرة: المطبعة العربية، ١٤٠٢هـ) ج٢، ص٨٠٢، وانظر: ترجمته في: **تقريب التهذيب**، ج١، ص٣٤٠، رقم الحديث: ٣٨٦٠.

إن التجاء المرأة لعائشة لكي ترفع شكواها للرسول صلى الله عليه وسلم إلى المكانة التي حازتها عائشة لدى النساء في هذا المجال. فقد ناصرتهن، وانتصرت لهن، وحرصت على أن يطلع النبي عليه الصلاة والسلام على أحوالهن، وهو ما عبرت عنه بقولها: "والنساء ينصر بعضهن بعضاً". ويلاحظ مسارعتها في التحدث إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ورفع حاجة المرأة له، ونقد ما تعرضت له من ضرب. ولم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم عائشة عن التدخل، كما لم يرفض الاستماع للمرأة، بل استمع لهما جميعاً، وللرجل حين لحق بزوجته، مما يوضح أن حق التعبير مكفول للجميع رجالاً ونساءً، حتى لو تجاوز أحدهم في تعبيره حدود ما تعده العادات خادشاً للحياء[٢١].

٢١- في الحديث تتحدث المرأة في مجلس رسول الله ﷺ، عن موضوع يمس العلاقة الحميمة بينها وبين زوجها ، بحديث واضح صريح حتى إن أحد الصحابة أنكر عليها، ففي رواية أخرى - متفق عليها، أخرجها البخاري بهذا اللفظ، ، رقم الحديث: ٥٧٣٤، ج٥، ص٢٢٥٨. ومسلم، رقم الحديث: ١٤٣٣، ج٢، ص١٠٥٦.- من طريق عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أن رفاعة القرظي طلق امرأته، فبت طلاقها، فتزوجها بعده عبدالرحمن بن الزبير- فجاءت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنها كانت عند رفاعة، فطلقها آخر ثلاث تطليقات، فتزوجها بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة – الهدبة أخذتها من جلبابها-. قال: وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، وابن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة ليؤذن له، فطفق خالد ينادي أبا بكر: يا أبا بكر، يا أبا بكر، ألا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ. وما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم. ثم قال: "لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك".

قال الأزهري الهروي في الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، رقم الحديث:٧٣٢، ج١، ص٣٣٠. "والعسيلة كناية عن لذاذة الجماع". وقال حمد بن محمد الخطابي في **غريب الحديث** (مكة المكرّمة: مطبوعات أم القرى، ١٤٠٢هـ) ج١، ص٥٤٧: "ادعت بهذا القول عليه العُنة، ولم ترد أن ذلك منه في دقة الهدبة، إنما أرادت أنه كالهدبة ضعفاً واسترخاء". وانظر أيضا: أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال، **شرح صحيح البخاري** (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ) ج٧، ص٤٧٩، ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٠، ص٢٨٢.

ومع ما في قولها من تصريح بأمر تستحي النساء عادة من ذكره، وخاصة في مجلس كمجلس رسول الله ﷺ، إلا أنه لم ينكر عليها بل تبسم متعجباً، ولذلك ذكر عبد الرحيم العراقي في **طرح التثريب في شرح التقريب** (دار الفكر العربي) ج٧، ص٩٤، في فوائد هذا الحديث:" أن مثل هذا إذا صدر من مدعيته لا ينكر عليها ولا توبخ بسببه، فإنه في معرض المطالبة بالحقوق، ويدل على صحته أن أبا بكر لم ينكر، وإن كان خالد قد حركه الإنكار وحضه عليه".

المبحث الثاني: الحقوق على المستوى الاجتماعي:

الحقوق الاجتماعية كثيرة ومتنوعة، ومن أمثلتها: العدل، والمساواة في المسؤولية والجزاء.

١ - العدل:

كانت عائشة رضي الله عنها إحدى زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا يعني أن العدل بالنسبة لها كان ركيزة لا غنى عنها في حياتها، فلا أمان ولا سعادة في مثل هذا الوضع ما لم يكن العدل هو سيد المواقف التي تحصل بينها وبين ضرائرها، سواء كان العدل من قبلها تجاههن، أو من قبلهن تجاهها، أو من قبل الزوج – عليه الصلاة والسلام- تجاه زوجاته.

وتروي عائشة رضي الله عنها في هذا المجال حديثاً يظهر سعيها وسعي ضرائرها للعدل، ومطالبتهن به، وحرصهن عليه. جاء في **صحيح البخاري** عنها أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كُنّ حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها، حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها بعث صاحب الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها، فكلم حزب أم سلمة، فقلن لها: كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه. فكلمته أم سلمة بما قلن لها فلم يقل لها شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: فكلميه، قالت: فكلمته حين دار إليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال لها: "لا تؤذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة"[٢٢] فقالت: أتوب إلى الله من

٢٢- قال الذهبي رحمه الله في **سير أعلام النبلاء** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ) ج٢، ص١٤٣، معلقاً: "وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها".

أذاك يا رسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: إن نساءك ينشدك الله العدل في بنت أبي بكر. فكلمته، فقال: "يا بنية، ألا تحبين ما أحب"؟ قالت: بلى. فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه. فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش، فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة، فسبتها حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينظر إلى عائشة هل تكلم. فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها. فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وقال: "إنها بنت أبي بكر"[٢٣].

وقد وضح النووي المراد بالعدل الذي كانت أمهات المؤمنين تنشدن النبي صلى الله عليه وسلم إياه، بقوله: "المراد بالحديث طلب المساواة في محبة القلب لا العدل فقد كان حاصلاً قطعاً"[٢٤].

لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف طرفاً بين أزواجه، وذلك لأن مطالبتهن بالعدل لم تكن ناشئة عن ظلم صدر عنه، بل عن اعتقاد غير صحيح من قبلهن. وحرصت عائشة في هذا الوضع ألا يصدر منها رد على ذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف، وربما كان السبب بعداً منها عن الخصام في وجود الرسول صلى الله عليه وسلم تقديراً له وابتغاءً لمرضاته، أو ربما راعت أن الدافع لديهن كان الغيرة فلم تجبهن، مقرة في ذلك بحقهن في أن يبحثن عن العدل ويطالبن به، ما دمن يرين أن ظلما قد وقع بهن. لذا لم ترد عليهن بادئ ذي بدء لتترك المجال للنبي عليه الصلاة والسلام أن يرى رأيه في المسألة وأن يحدد إن كان قد وقع عليهن ظلم أم لا. إلا أنها عندما رأت أن زينب رضي الله عنها قد تعدت عليها بالكلام، واطمأنت إلى أنها لو دافعت عن

٢٣- أخرجه الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٢٨٥١، ج٣، ص١٥٦.

٢٤- أبو زكريا يحيى شرف النووي، **شرح النووي على صحيح مسلم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ) ج١٥، ص٢٠٥.

نفسها فلن يغضب منها النبي صلى الله عليه وسلم، عندها بادرت بالرد على زينب حتى أسكتتها. فكما أن من حقهن أن يطالبن بالعدل، فمن حقها أن تدافع عن نفسها إذا اتهمت ظلما، لكنها لم ترد أن تدافع عن نفسها قبل أن تتأكد من أن هذا الدفاع سيخرج بالصورة التي لا تجعلها تخسر حب زوجها وتقديره لها. وهي بهذا ربما وضعت قاعدة لكل من وقف موقف المطالبة بالعدل: أن لا يخاطر بما حصل عليه من حقوق عند الدخول في خصومات، بل عليه أن يوازن، وأن يقدر ما لديه، وأن يحسب حساب ما سيتوصل إليه وما قد يفقده من حقوق بسبب الخصومة والجدل.

٢- المساواة في المسؤولية والجزاء:

مع أن عائشة رضي الله عنها كانت أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، إلا أن ذلك لم يجرّئها على أن ترى لنفسها ما لا ترى لغيرها، فلم يُؤثَر في كل ما روي عنها أنها آثرت نفسها على غيرها في أمر من الأمور إلا في جانب واحد، وهو جانب حبها للنبي صلى الله عليه وسلم وغيرتها عليه. إن الباحث المستقرئ لسيرتها يكاد لا يجد جانباً من جوانب حياتها إلا كانت فيه مبادرة معطاءة مؤثرة على نفسها، إلا عندما يأتي الأمر إلى نصيبها من زوجها عليه الصلاة والسلام.

ومن الأمثلة التي تبرز الإحساس العالي لدى عائشة رضي الله عنها بالمسؤولية عن تصرفاتها، وحرصها على التكفير عن أخطائها، من منطلق فهمها الدقيق لمبادئ العدالة والمساواة والمسؤولية في الدين، ما رواه أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها، فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، وقال: "كلوا". وحبس الرسول القصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة[٢٥].

وجاء في رواية أحمد[٢٦]، أن أنساً قال: أظنها عائشة.

٢٥- أخرجه الإمام البخاري، رقم الحديث: ٢٣٤٩، ج٢، ص٨٧٧.

٢٦- أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، رقم الحديث: ١٢٠٢٧، ج١٩، ص٨٤. وانظر: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج٦،

وفي رواية أبي داود[٢٧]، من طريق جَسْرة، أن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما رأيت صانعاً طعاماً مثل صفية، صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً فبعثت به، فأخذني أَفْكَلٌ[٢٨]، فكسرت الإناء، فقلت: يا رسول الله، ما كفارة ما صنعت؟ قال: "إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام".

يعد هذا الحديث من الأحاديث التي اعتمد عليها العلماء في حكم من استهلك أو أتلف مما ليس من المكيلات والموزونات[٢٩].

وموضع الشاهد هنا يتضح من ناحيتين:

الأولى: أن عائشة رضي الله عنها حملت مسؤولية تصرفها من قبل النبي عليه الصلاة والسلام، فبغضّ النظر عن كونها أحب نسائه إليه، وكونه كان في بيتها عند وصول الطعام، وكونها تغار عليه غيرة شديدة وتحبه حباً عظيماً، فكل هذه الأمور وإن كانت توضح سبب كسرها القصعة، فإنها لا تبرره. فهي مسؤولة عن تصرفاتها مسؤولية تجعلها تتراجع عن الخطأ وتخضع للجزاء، ولهذا فقد سألت عن الوسيلة التي تكفر بها عن اعتدائها على ممتلكات الغير دون وجه حق. وسؤالها يدل على إحساسها بالمسؤولية عن تصرفاتها.

الثاني: أن عائشة رضي الله عنها بروايتها الحدث وقبولها الحكم وتنفيذها إياه تظهر فهمها لأبعاد المساواة في الجزاء، حتى لو كان ذلك على نفسها، ولصالح لضرتها. وهذا يبين موقفها من

ص٦٠٩، خلف بن عبد الملك بن بشكوال، **غوامض الأسماء المبهمة** (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ) ج١٠، ص٦٣٢.

٢٧- أبو داود، **سنن أبي داود**، رقم الحديث: ٣٥٦٨، ج٣، ص٢٩٧.

٢٨- بفتح الهمزة، وإسكان الفاء، وفتح الكاف. والمعنى: أخذتها رعدة. انظر: محمد بن علي الشوكاني، **نيل الأوطار** (بيروت: دار الكتب العلمية) ج٥، ص٣٨٧، والعظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داوود** (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ) ج٩، ص٣٤٩.

٢٩- انظر: ابن عبد البر، **التمهيد**، ج١٤، ص٢٨٨، محمد بن أحمد بن رشد، **بداية المجتهد**، ج٢، ص٢٣٨، عبد الله بن أحمد بن قدامة، **المغني** (بيروت: عالم الكتب) ج٥، ص١٣٩، محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين** (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م) ج١، ص٣٢٤.

المساواة في الجزاء مع كل المميزات التي حظيت بها من حب النبي عليه الصلاة والسلام لها، وغيرها.

المبحث الثالث: الحقوق على المستوى الاقتصادي:

ذكر العلماء مجالات عدة لحقوق المرأة على المستوى الاقتصادي، منها: حق العمل، حق الملكية، أهلية المرأة الاقتصادية، حقها في النفقة والمهر، حقها في البيع والشراء، وغير ذلك. وسيُقتصر هنا على مجالين: أهلية المرأة الاقتصادية، وحقها في البيع والشراء. مع ملاحظة أن أحدهما ليس قسيما للآخر، بل إن حق البيع والشراء تطبيق من تطبيقات الأهلية الاقتصادية.

١ - أهلية المرأة الاقتصادية:

تتمتع المرأة في الإسلام بأهلية اقتصادية مساوية للرجل، فلها الحق في التصرف في مالها كما تشاء، ضمن ما أباحه الله عز وجل من المعاملات المالية. وكانت عائشة رضي الله عنها تمارس هذا الحق في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته.

جاء في **صحيح البخاري** من طريق عوف بن مالك بن الطفيل- ابن أخي عائشة لأمها- أن عائشة حُدّثت: أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: "لا والله، لا أُشفّع فيه أبداً، ولا أتحنث إلى نذري". فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة، وقال لهما: "أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي". فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما، حتى استأذنا على عائشة، فقالا: "السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟" قالت عائشة: "ادخلوا". قالوا: "كلنا؟" قالت: "نعم، ادخلوا كلكم". ولا تعلم أن معهم ابن الزبير. فلما دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق

ثلاث ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي، وتقول: "إني نذرت والنذر شديد". فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير. وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها(٣٠).

يُظهر الأثر أن عائشة رضي الله عنها تعرف حقوقها، وتعلم علم اليقين أن تصرفها في أموالها الخاصة هو حق مكتسب لها، ولا يحق لأحد أن يتدخل في ذلك ما دامت لم تفعل في مالها ما حرم الله. وعندما حاول ابن الزبير أن يتدخل في ذلك الحق جاء ردها حازماً وقوياً، مع العلم أن ابن الزبير كان من أحب الناس إليها وأبرهم بها(٣١).

٢- حق المرأة في البيع والشراء:

حفظ الإسلام للمرأة الحق في أن تبيع وتشتري في مالها كما تشاء، دون أن يتوجب عليها أن تستأذن أحداً في ذلك، وكانت عائشة رضي الله عنها تمارس هذا الحق بكل حرية.

تروي رضي الله عنها، فتقول: "جاءتني بريرة، فقالت: كاتبت أهلي على تسع أواق، في كل عام أوقية فأعينيني. فقلت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت. فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم، فأبوا عليها، فجاءت من عندهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم. فسمع النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق". ففعلت عائشة، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أما بعد، ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق"(٣٢).

٣٠- البخاري، **صحيح** البخاري، رقم الحديث: ٥٧٢٥، ج٥، ص٢٢٥٥.

٣١- انظر: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري** (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج٢٢، ص١٤٢.

٣٢- أخرجه البخاري بهذا اللفظ، رقم الحديث: ٢٠٦٠، ج٢، ص٧٥٩. و**صحيح مسلم**، رقم الحديث: ١٥٠٤، ج٢، ص١١٤١.

وفي هذا الحديث أن عائشة رضي الله عنها قد اتفقت مع بربرة على أن تشتريها، وفاوضت على شروط هذا الشراء دون الرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما علم لم يلمها أو يوجهها إلى خلاف ذلك، فدل على أن من حق المرأة أن تبيع وتشتري في مالها الخاص دون الرجوع إلى أحد.

المبحث الرابع: الحقوق على المستوى العلمي:

كفل الإسلام لأتباعه حق التعلم، بل أوجبه عليهم وجعله فريضة على كل مسلم، أن يتعلم ما لابد له من معرفته ليقيم أركان دينه. كما أوجب على العالم بأمر إذا سئل عنه ألا يكتم العلم الذي لديه. وكانت عائشة رضي الله عنها مثالاً حياً على ذلك. وسيتناول هذا المبحث حق التعلم، وحق التعليم.

١ - حق التعلم:

التعلم في الإسلام ليس حقاً فحسب، بل هو واجب في أحيان، ومندوب في أحيان أخرى. ولم يفرق النبي عليه الصلاة والسلام بين النساء والرجال بصفة عامة في حثهم على طلب العلم، بل نجد في تعامله مع عائشة رضي الله عنها تشجيعاً ودعماً واضحين. والمتتبع لحياة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يجد أنها كانت تعتمد وسيلتين رئيستين للتعلم: الوسيلة الأولى تمثلت في ملاحظة ما يدور حولها من أحداث، وحفظ الوقائع بما تضمنته من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم، أو الخبرات والمعلومات التي وصلت إليها من خلال كل من يدخل محيطها. والوسيلة الثانية تمثلت في طرح الأسئلة عن كل ما يمر بها وتحتاج لفهمه أو الاستفسار عنه، دون تردد، مهما كانت الظروف. وفي جميع الأحوال، أدركت عائشة أن من حقها أن تتعلم، وأن طلب العلم حق تشمله المساواة بين نساء ورجال مجتمعها، فمارست هذا الحق دون تردد، واستفادت منه أبلغ الاستفادة.

وأسئلة عائشة رضي الله عنها الكثيرة نتج عنها علم غزير جعل عائشة تحتل منزلة علمية عالية بين الصحابة رضي الله عنهم.

فعن عروة بن الزبير، قال: "ما رأيت أحداً أعلم بشعر، ولا فريضة، ولا أعلم بفقه من

عائشة"[٣٣].

وعن عروة أيضاً أنه كان يقول لعائشة: "يا أمتاه، لا أعجب من فهمك، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس – أو من أعلم الناس–، ولكن أعجب من علمك بالطب، كيف هو ومن أين هو؟" فضربت على منكبه، وقالت: "أي عُرية، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره– أو في آخر عمره– فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثم"[٣٤].

ومن الأمثلة على الظروف الصعبة التي تعرضت لها عائشة رضي الله عنها ومع ذلك لم تمنعها من طرح الأسئلة، ما روته رضي الله عنها في حادثة التخيير، حين آلى النبي عليه الصلاة والسلام من نسائه، قالت: "لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي، فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن. فقال: "إن الشهر تسعة وعشرون"[٣٥].

ومن هذا الحديث يتبين اهتمام عائشة رضي الله عنها بالسؤال والتعلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان غاضباً على نسائه وآلى منهن شهراً، وعائشة هي زوجته الحبيبة التي غضب منها، فلما انتهى الشهر عاد إلى زوجاته بادئاً بها، ومع حبها الشديد له وفرحتها الغامرة بعودته، لم تتردد في أن

٣٣- أخرجه عبد الله ابن أبي شيبة في **مصنفه**، رقم الحديث: ٢٦٠٤٤ (بيروت: دار الفكر) ج٥، ص٢٧٦. وسنده صحيح.

٣٤- أخرجه أحمد في **المسند**– واللفظ له– رقم الحديث: ٢٤٣٨٠، ج٤٠، ص٤٤١، ، من طريق أبي معاوية عبدالله بن معاوية الزبيري، عن هشام بن عروة عن أبيه، فذكره. وأبو معاوية ممن تكلم في حفظه، انظر ترجمته في: محمد عبد الرحمن الرازي، **الجرح والتعديل**، رقم الحديث: ٨٣٤ (بيروت: دار الكتب العلمية) ج٥، ص١٧٨، محمد بن حبان البستي، **الثقات** (مؤسسة الكتب الثقافية) ج٧، ص٤٧، وللخبر متابعات صحيحة يتقوى بها، منها ما أخرجه أبو نعيم في **الحلية**، ج٢، ص٤٩، من طريق علي بن مسهر، عن هشام به بنحوه.

٣٥- أخرجه البخاري، في مواضع منها ٣، رقم الحديث: ٤٨٩٥، ومسلم– واللفظ له– رقم الحديث: ١٤٧٥، ج٢، ص١١١٣.

تسأله لماذا آلى شهراً ومع ذلك عاد بعد تسعة وعشرين يوماً وليس ثلاثين. وهي لا يخفاها بطبيعة الحال عدد أيام الشهر، لكنها أرادت أن تستفسر عن اختيار النبي عليه الصلاة والسلام العودة قبل مرور ثلاثين يوما.

٢- حق التعليم:

إذا حصلت المرأة على العلم من حقها أن تعلّمه للناس، شأنها في ذلك شأن الرجل، طالما أن كلاً منهما يلتزم بما أمر الله به من ضوابط.

وعائشة رضي الله عنها حصلت من العلم ما جعلها تتصدر للفتيا، قال ابن سعد في **الطبقات الكبرى**(٣٦): كانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وعثمان رضي الله عنهما بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن.

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تعلّم النساء والرجال، فأما تعليمها للنساء فواضح، وأما تعليمها للرجال فمن كان صغيراً كانت تأذن له بالدخول عليها، ومن كان كبيراً كانت يدخل عليها فتعلمه من وراء حجاب، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كنت أفتل قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي- قال مسروق: فسمعت تصفيقها بيديها من وراء الحجاب وهي تحدث بذلك- ثم يقيم فينا حلالاً"(٣٧).

واستدراكات عائشة رضي الله عنها على الصحابة كثيرة ومشهورة، من ذلك(٣٨) أنه بلغها أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فقالت: "يا عجباً لابن عمرو

٣٦- ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص٣٧٥، وانظر أيضاً: عبدالحي الكتاني في **التراتيب الإدارية** (نظام الحكومة النبوية) (بيروت: دار الكتاب العربي) ج٢، ص٤٣٣.

٣٧- أخرجه البخاري في **الصحيح** مطولاً، رقم الحديث: ٥٢٤٦، ج٥، ص٢١١٥، ، واللفظ لأحمد في **المسند**، رقم الحديث: ٢٤٠٢٠، ج٤٠، ص٢٠.

٣٨- أخرجه مسلم في **الصحيح**، رقم الحديث: ٣٣١، ج١، ص٢٦٠.

هذا، يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن؟ لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، ولا أزيد على أن أفرغ رأسي ثلاث إفراغات".

المبحث الخامس: الحقوق على المستوى السياسي:

لم يعزل الإسلام المرأة عن حياة الناس، ولم يعاملها مطلقا كمواطن من الدرجة الثانية. والمتتبع لحياة أمهات المؤمنين يلاحظ أمثلة عديدة على ذلك. ومع وجود ضوابط تحدد مشاركة المرأة في الحياة السياسية، إلا أن تلك الضوابط لم تكن قط على حساب كرامتها ولا وطنيتها، وكانت عائشة رضي الله عنها أبلغ مثال على ذلك.

والحقوق السياسية للمرأة في الإسلام كثيرة، منها: مشاركتها في الجهاد، وأمانها للحربيين، وحق الشورى، والتأليف بين الجهات المتنازعة وغيرها. وسيُقتصر هنا على: أمانها للحربين، والتأليف بين الجهات المتنازعة.

١ - أمان المرأة للحربيين:

للمرأة في وقت الحرب بين المسلمين وغير المسلمين "أن تعقد الأمان مع الكفار، ويسري ذلك على المسلمين"(٣٩).

وقد دل على جواز أمان المرأة أحاديث عديدة، منها: حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: " إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز"(٤٠).

وجواز أمان المرأة في الحرب مسألة كبيرة تظهر المكانة التي أعطيتها المرأة في مجال بارز من

٣٩- انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢، ص٢٦٢، النووي، **شرح مسلم للنووي**، ج٥، ص٢٣٢، الشوكاني، **نيل الأوطار**، ج٨، ص١٨١، عظيم آبادي، **عون المعبود**، ج٧، ص٣١٥، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ج٧، ص٨١.

٤٠- أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبو داؤد**، رقم الحديث: ٢٧٦٤ (بيروت: المكتبة العصرية) بهذا اللفظ، ج٣، ص٨٤، وسعيد بن منصور في **السنن**، رقم الحديث: ٢٦١١ (الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ) ج٢، ص٢٧٥، وغيرهم، وسنده صحيح.

مجالات القرارات السياسية، شأنها في ذلك شأن الرجل. وهو حق روته عائشة ومارسته غيرها من الصحابيات رضي الله عنهن، ومن ذلك حديث أم هانئ رضي الله عنها، قالت: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه، فقال: "من هذه"؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: "مرحباً بأم هانئ". فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان بن هبيرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ". قالت أم هانئ: وذاك ضحى(٤١).

واستدل قوم بهذه الأحاديث وغيرها على أن أمان المرأة جائز في كل حال، "وقال آخرون بأن أمانها موقوف على جواز الإمام، فإن أجازه جاز وإن رده رُد"(٤٢).

٢- الإصلاح بين الجهات المتنازعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة"(٤٣).

قال ابن كثير في **البداية والنهاية**: "هما أصحاب الجمل وأصحاب صفين، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا"(٤٤).

٤١- أخرجه البخاري -بهذا اللفظ- في مواضع، منها: رقم الحديث: ٣٥٠، ج١، ص١٤١، ومسلم، رقم الحديث: ٣٣٦، ج١، ص٤٩٨.

٤٢- ابن عبدالبر، **التمهيد**، ج٢١، ص١٨٨، وانظر أيضاً: ابن عبد البر، **الاستذكار**، ج٢، ص٢٦٤، ابن قدامة، **المغني**، ج٩، ص١٩٥، محمد بن عيسى الأزدي، **الإنجاد في أبواب الجهاد** (مؤسسة الريان، ٢٠٠٥م) ج١، ص٢٩٢.

٤٣- أخرجه البخاري بهذا اللفظ، رقم الحديث: ٢٧٠٤، ج٦، ص٢٦٠٥، ومسلم، رقم الحديث: ١٥٧، ج٤، ص٢٢١٤.

٤٤- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٦، ص٢١٤.

وقصة الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم مبسوطة في كتب أهل العلم(٤٥)، قال العراقي في **طرح التثريب في التقريب**: "يحتمل أن يكون المراد بكون دعواهما واحدة أن كلاً منهما يقول إنه ناصر للحق، ذابّ عن الدين، فالقائمون مع علي رضي الله عنه هم المصيبون القائمون بنصرة من تجب نصرته، لكونه أفضل الخلق في ذلك الوقت، وأحقهم بالإمامة، مع تقدم بيعته من أهل الحل والعقد بدار الهجرة، والقائمة مع معاوية رضي الله عنه تأولوا وجوب القيام بتغيير المنكر في صلب قتلة عثمان – رضي الله عنه- الذين في عسكر علي، وأنهم لا يعطون بيعة ولا يعدون إمامة حتى يعطوا ذلك".

في هذا الجو المليء بالفتن والذي ينذر بكارثة تحل بالمسلمين، رأت عائشة رضي الله عنها أن تخرج إلى علي رضي الله عنه مع من سيخرج إليه من أكابر الصحابة لكي يصلحوا بين الناس مخافة أن يقتتلوا، ويظهر أنها حسبت أن الفريقين لن يقتتلا إذا رأوها، بل سيتوقفون عن القتال من فورهم احتراما لأم المؤمنين.

عن قيس بن أبي حازم، قال: "لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنني إلا أني راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله عز وجل ذات بينهم. قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم:" كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟"(٤٦).

ومضت عائشة رضي الله عنه في رحلتها أملاً في أن يكون لخروجها ووجودها في ساحة القتال ما يحث الفريقين المتقاتلين على مراجعة أنفسهم والقبول بالصلح، إلا أن الوضع جرى على غير ما أرادت، وتقاتل المسلمون في معركة الجمل، وكادت تُقتل هي مع من قُتل، ولكن الله نجاها،

٤٥- انظر على سبيل المثال: ابن العربي، **العواصم من القواصم** في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ج١، ص١٦٦، الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٣، ص٣٧.

٤٦- أخرجه أحمد، بهذا للفظ، في **المسند**، رقم الحديث: ٢٤٢٥٤ و١٥٦٩، ج٤٠، ص٢٩٨، وإسناد أحمد صحيح.

وأعادها علي رضي الله عنه إلى المدينة في عز وكرامة.

وفي هذا الموقف يتضح أن للمرأة ذات الجاه والمركز أن تسعى للإصلاح بين الفئات المتنازعة، فإن عائشة رضي الله عنها خرجت لهذا الغرض، وكان معها الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، ولم ينكروا عليها الخروج بحد ذاته، إلا أن من الصحابة من أنكر عليها الخروج على علي رضي الله عنه في هذا الموقف بالذات لأن الحق فيه كان معه.

ومع هذا فقد ندمت ندماً شديداً على خروجها، قال الذهبي: "إنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الكبار، رضي الله عن الجميع"(٤٧).

وبالجملة فقد كانت رضي الله عنها تهتم لأمر عامة الناس، ولذا نجد عطاء بن أبي رباح يصفها بقوله: "كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة"(٤٨). ومعنى ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها كانت لا تتوانى عن المشاركة في أمور الحياة العامة، لكن مشاركتها تصب في مصلحة الناس على علم وفقه.

الفصل الثاني: منهج أم المؤمنين في المطالبة بحقوق المرأة

تميز اهتمام عائشة رضي الله عنها بحقوقها وحقوق النساء باتباعها لمنهجية ذات حدود ومعالم.

وبعد محاولة الباحثة لاستقراء النماذج والأمثلة السابقة، فإن هذا المنهج يتضح من خلال نقاط بارزة يمكن إجمالها فيما يأتي:

٤٧- الدهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص١٩٣.

٤٨- أخرجه محمد بن الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، رقم الحديث: ٦٧٤٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ) ج٤، ص١٥.

١- اعتمادها على مصادر الشريعة تلقياً واستدلالاً.

٢- المطالبة المبنية على العلم والاستقصاء.

٣- الموازنة بين المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات.

٤- الشجاعة في إبداء الرأي مع الالتزام بالحياء والقيم.

٥- تقدير الذات.

٦- الرجوع للحق والاعتراف بالخطأ.

المبحث الأول: مصادر المعرفة لدى أم المؤمنين، ومنهجها في التلقي والاستدلال:

المستقرئ لمواقف عائشة رضي الله عنها يجد أنها – في جميع مواقفها- كانت لا تصدر إلا عن القرآن الكريم والسنة النبوية، فهذان هما المرجعان الرئيسان لها، فإذا قال الله ورسوله أمراً لم تتعد إلى ما سواهما، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما روته معاذة، قالت: سألت عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية ولكني أسأل. قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة(٤٩).

ويوضح هذا الخبر منهج عائشة رضي الله عنها في التلقي، فهي تتلقى الأمر الإلهي بالتسليم والعبودية، مع أنها من أكثر الصحابة نقداً للروايات(٥٠)، إلا أن نقد الرواية والتحقق من صحتها متناً وسنداً، ونقد فهم الآخرين لها، لا يتعارض مع التسليم لأمر الله والعبودية له متى ما تأكد المسلم من صحة النقل والفهم. ففرق بين إنكار الخطأ، وبين التسليم للصواب وإن لم تدرك حكمته. وهو أمر يبدو واضحاً أن عائشة رضي الله عنها فهمته وطبقته.

ولم يكن هذا موقفاً شخصياً لعائشة فحسب، ولكنه كان جزءاً من الرسالة التي ندب الله

٤٩- أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٣١٥، ج١، ص١٢٢، ومسلم- واللفظ له- رقم الحديث: ٣٣٥، ج١، ص٢٦٥.

٥٠- أقرب مثال على ذلك كتاب: الزركشي، **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة رضي الله عنها وعنهم**، والذي تتبع فيه استدراكاتها الناتجة عن نقدها لرواياتهم نقدا مبنيا على علم.

أمهات المؤمنين إليها في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾(٥١). فدور أمهات المؤمنين شمل نشر العلم وتبليغه للمجتمع، والاضطلاع من خلال ذلك في تبيان الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية. ومن هنا تتضح معالم منهجية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ليس فقط في التلقي والاستدلال، بل في الفهم والنقد والتعليم والتأثير المباشر في حياة الناس اليومية، والتي قامت في ذلك العهد على الاتباع للوحيين. وهي بذلك تؤسس في الوقت ذاته مدرسة علمية ذات منهج واضح يجمع بين التسليم والعبودية من ناحية، وبين التفقه والنقد وإعمال العقل من ناحية أخرى، دون أن تخرج في ذلك عن الضوابط الشرعية التي فهمتها تمام الفهم من خلال سنوات عاشتها في كنف النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: المطالبة بالحقوق المبنية على العلم والاستقصاء:

حرصت عائشة رضي الله عنها على العلم والمعرفة، وكان هذا منهجها المعروف، حتى قال ابن أبي مليكة:" كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه"(٥٢).

وأسئلة عائشة رضي الله عنها للنبي عليه الصلاة والسلام أكثر من أن نحصيها هنا، ولكن الشاهد هو أنها لم تكن تحجم عن السؤال والمناقشة إذا استدعى الأمر، وهدفها في ذلك هو الوصول للصواب، لكي تعمل به.

تروي رضي الله عنها فتقول: جاء عمي من الرضاعة فاستأذن فأبيت أن آذن له حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فقال:" إنه عمك فأذني لي"، قالت: فقلت: يا رسول الله إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل. قالت: فقال

---

٥١ - سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

٥٢- أخرجه البخاري، رقم الحديث: ١٠٣، ج١، ص٥١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه عمك فليلج عليك...." الحديث(٥٣).

ولم تكن عائشة تكتفي بالسؤال والمناقشة، ولكنها تحفز النساء على السؤال والتعلم، بل وعلى ألا يقف بهن الحياء عن معرفة ما يتوجب عليهن معرفته، ولذلك قالت: "نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(٥٤).

المبحث الثالث: الموازنة بين المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات:

إن منهج عائشة رضيه عنها بالمطالبة بالحقوق قد اتسم بالموازنة بين أمرين لا غنى لمن يطالب بحقه عنهما: الأول المطالبة بالحق، والثاني أداء الواجب، فكيف يمكن للمنصف أن يطالب بحقه في الوقت الذي يهضم فيه حقوق الآخرين؟

ومع هذا فهي لم تكبت مشاعرها، بل عبرت عنها بطريقة متوازنة. والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة عائشة رضي الله عنها، منها ما روته، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى". قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم". قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك(٥٥).

وهنا يتضح كيف أن غضبها من زوجها لم يخرجها إلى حد التعدي، بل حتى عندما هجرت لم تهجره بل هجرت النطق باسمه، وكأنما تذكر بلسان الحال أن حبه في قلبها كما هو(٥٦).

٥٣- أخرجه البخاري – بهذا اللفظ- رقم الحديث: ٢٠٠٧ و٤٩٤١، ج٥، ص٢٠٠٧، ومسلم، رقم الحديث: ١٤٤٥، ج٢، ص١٠٦٩.

٥٤- أخرجه مسلم في **صحيحه**، رقم الحديث: ٦١، ج١، ص٢٦١.

٥٥- أخرجه البخاري بهذا اللفظ- رقم الحديث: ٤٩٣٠، ج٥، ص٢٠٠٤، ومسلم، رقم الحديث: ٢٤٣٩، ج٤، ص١٨٩٠.

٥٦- انظر: عبد الرحمن السيوطي، **الديباج** على مسلم (المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ) ج٥، ص٤٠٤٠، العيني، **عمدة القاري**، ج٢٠، ص٢١٠، محمد بن مفلح المقدسي، **الآداب الشرعية** (بيروت: مؤسسة

المبحث الرابع: الشجاعة في إبداء الرأي مع الالتزام بالحياء والقيم:

تميزت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالشجاعة في إبداء رأيها، ولم تكن تتردد في ذكر رأيها مهما كان الشخص الذي تتحدث إليه، بدءاً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومناقشتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وأسئلتها كلما استشكل عليها أمر، واستدراكاتها على الصحابة رضي الله عنهم، كل ذلك قد مر بنا أمثلة عليه في طيات هذا البحث. وما نريد التنبيه عليه هو أن الشجاعة لم ترتبط عندها بالتخلي عن مبادئ الأخلاق الراقية، فهي – على سبيل المثال– تعلم الرجال وتناقشهم ويتم ذلك كله من وراء حجاب، يشهد لذلك ما رواه البخاري من طريق ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، فقال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجال؟ قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: أي لعمري، لقد أدركته بعد الحجاب. قال: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكن يخالطن، كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حَجْرة[٥٧] من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين. قالت: عنك. وأبت، وكن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأُخرج الرجال، وكنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عمير وهي مجاورة في جوف ثبير. قلت: وما حجابها؟ قال: هي في قبة تركية لها غشاء، وما بيننا وبينها غير ذلك ورأيت درعاً مورداً[٥٨].

والخبر السابق مثال على أن أم المؤمنين كانت تمارس حقوقها مع التزامها بتعاليم الدين ومبادئ الأخلاق، دون أن يستلزم التمسك بأحدهما تخليها عن الآخر.

وعن أم ذرة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة رضي الله عنهما بمال في غرارتين، يكون مائة

الرسالة، ١٤١٧هـ) ١ج، ص٢٦٧، الملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح** (بيروت: دار الكفر، ١٤١٤هـ) ج١، ص١٠٨.

٥٧- حجرة: بفتح الحاء، وسكون الجيم، أي ناحية، بمعنى الاعتزال عن الرجال. انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٣، ص٤٨١، العيني، **عمدة القاري**، ج١٥، ص٢١.

٥٨- البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ١٥٣٩، ج٢، ص٥٨٥.

ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت: هاتي يا جارية فطوري. فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتيني لفعلت(٥٩).

فالأمر لدى عائشة رضي الله عنها ليس قضية بروز في المجتمع أو جدال أو حرب، بل هو قضية حق مشروع تتم المطالبة به مع التمسك بما لا يقل عنه أهمية، وهي المبادئ السامية النبيلة.

ومما يلفت الانتباه أن عائشة إذ تصرح برأيها في منتهى الشجاعة، لا تنسى في الوقت نفسه الحلم والتجاوز عمن ظلمها، وتحرص على الاستعلاء عن الأحقاد الشخصية، لأنها تنظر نظرة أشمل للأمور ولا تقف عند المواقف الخاصة مهما كانت مؤلمة، ذلك أن حسان بن ثابت رضي الله عنه كان ممن قذف في عرضها في حادثة الإفك، فلم تجعل ذلك معقداً للخصومات بينها وبينه، مع أنها في الوقت ذاته أوضحت له خطأه وتعديه. قال مسروق: دخلنا على عائشة رضي الله عنها، وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له، وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى:" وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" فقالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له: إنه كان ينافح- أو يهاجي- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦٠).

المبحث الخامس: تقدير الذات:

لا يستطيع الإنسان أن يرى لنفسه حقاً، فضلاً عن أن يطالب به، إذا لم يكن لديه تقدير لذاته، فالمطالبة بالحقوق، والشجاعة في إبداء الرأي، والالتزام بالمبادئ والثبات عليها، كلها صفات

٥٩- أخرجه ابن سعد في **الطبقات الكبرى**، ج٨، ص٦٧، وابن السري في **الزهد**، رقم الحديث: ٦١٩ (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٦هـ) ج١، ص٣٣٨، وأبو نعيم في **حلية الأولياء**، ج٢، ص٤٧، وإسناده صحيح.

٦٠- أخرجه البخاري – بهذا اللفظ- رقم الحديث: ٣٩١٥، ج٤، ص١٥٢٣، ومسلم، رقم الحديث: ٢٤٨٨، ج٤، ص١٩٣٤.

للإنسان الذي يقدر ذاته ويرى أن عليه قدراً من المسؤولية تجاه الحياة التي يحياها.

وتقدير الذات كان صفة واضحة من صفات عائشة رضي الله عنها، قادتها إلى السؤال والبحث والتدقيق لتعرف ولتستزيد من المعرفة. وقادتها إلى إبداء الرأي والتدخل في الحياة السياسية منذ نعومة أظفارها، فقد شاركت في غزوة أحد، مجاهدة في سبيل الله، وهي مازالت في الحادية عشرة[٦١]، وتصدرت للإفتاء، وهي في حوالي العشرين من عمرها[٦٢].

وقد صبغت صفة تقدير الذات مواقف عائشة في مطالبتها بحقوقها، ومن ذلك موقفها في حادثة الإفك، بعد أن أنزل الله قرآناً يتلى في براءتها فقالت لها أمها: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله[٦٣].

قال ابن القيم تعليقاً على ذلك: ومن تأمل قول الصديقة وقد نزلت براءتها، فقال لها أبواها: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: "والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله" – علم معرفتها، وقوة إيمانها، وتوليتها النعمة لربها، وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجريدها التوحيد، وقوة جأشها، وإدلالها ببراءة ساحتها، وإنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح،

٦١- بنى النبي عليه الصلاة والسلام بعائشة رضي الله عنها في السنة الأولى للهجرة وعمرها تسع سنين، وحدثت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة، وشاركت فيها في تلك العمر المبكرة، كما جاء في الحديث المتفق عليه من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ القِرَبَ -وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلاَنِ القِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا-، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ". أخرجه البخاري –واللفظ له– في مواضع، منها: رقم الحديث: ٢٨٨٠، ج٤، ص٣٣، ومسلم، رقم الحديث: ١٨١١، ج٣، ص١٤٤٣.

٦٢- تقدم في الحاشية (١) في ص٢ أن ابن سعد قد ذكر في **الطبقات**، ج٢، ص٣٧٤، عائشة رضي الله عنها مع العلماء المبرزين، وساق طائفة من الآثار التي تذكر علمها، ولجوء الصحابة إليها يسألونها ويستنيرون برأيها، رضي الله عنهم جميعا.

٦٣- متفق عليه، وهو جزء من حديث مطول أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٢٥١٨، ج٢، ص٩٤٥، ومسلم، رقم الحديث: ٢٧٦٩، ج٤، ص٢١٣٦.

الطالب له، وثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها قالت ما قالت، إدلالاً لحبيب على حبيبه، ولاسيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال، فوضعته موضعه، ولله ما أحبها إليه حين قالت: "لا أحمد إلا الله، فإنه هو الذي أنزل براءتي"، ولله ذلك الثبات والرزانة منها، وهذا أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تنكر قلب حبيبها لها شهراً، ثم صادفت الرضى منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه مع شدة محبتها له، وهذا غاية الثبات والقوة(٦٤).

المبحث السادس: الوقوف عند الحق والاعتراف بالخطأ:

كانت عائشة رضي الله عنها وقافة عند الحق، رجاعة له، تتحمل مسؤولية قراراتها، وتعترف بخطئها، وتسارع إلى التوبة منه، والعمل على التكفير عنه، وقد مر معنا في الصفحات السابقة أمثلة على ذلك(٦٥). ومن الأمثلة أيضاً ما روته عائشة، قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك؟ تنظرين وأنظر. فقالت: بلى. فركبت، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني، رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئاً(٦٦).

قال ابن حجر في **فتح الباري**: وإنما لم تتعرض لحفصة لأنها هي التي أجابت طائعة، فعادت على نفسها باللوم(٦٧).

٦٤- **زاد المعاد**، ج٣، ص٢٦٤.

٦٥- انظر على سبيل المثال: فقرة "المساواة في المسؤولية والجزاء" من هذا البحث.

٦٦- أخرجه البخاري بهذا اللفظ- رقم الحديث: ٤٩١٣، ج٥، ص١٩٩٩، ومسلم، رقم الحديث: ٢٤٤٥، ج٤، ص١٨٩٤.

٦٧- ابن حجر، **فتح الباري**، ج٩، ص٣١١، وانظر: العيني، **عمدة القاري**، ج٢٠، ص١٩٧، المقدسي، **الآداب الشرعية**،

إن الرجوع للحق والاعتراف بالخطأ فرعان لتحمل الإنسان مسؤولية أخطائه، وعائشة رضي الله عنها كانت من الشجاعة بحيث تعترف بخطئها ولا تلوم غيرها عليه.

الخاتمة:

تناول هذا البحث موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حقوق المرأة، وينقسم إلى فصلين: تناول الفصل الأول أبرز مجالات حقوق المرأة عند أم المؤمنين، على المستويات: الشخصي والاجتماعي والاقتصادي، والعلمي، والسياسي. أما الفصل الثاني ففيه منهج أم المؤمنين في التعامل مع حقوق المرأة.

وقد وجدت الباحثة أن منهجية أم المؤمنين قد ركزت على أمور، أبرزها:

١. اعتمادها على مصادر الشريعة تلقيا واستدلالا.

٢. المطالبة المبنية على العلم والاستقصاء.

٣. الموازنة بين المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات.

٤. الشجاعة في إبداء الرأي مع الالتزام بالحياء والقيم.

٥. تقدير الذات.

٦. الرجوع للحق والاعتراف بالخطأ.

وأم المؤمنين رضي الله عنها بهذه المنهجية المعتدلة تضرب المثال الجميل للمرأة المعاصرة، فقد جمعت رضي الله عنها بين التفكير المحص الناقد، والعلم الموسوعي، وتقدير الذات، كل ذلك في إطار من القوة في الحق، مع الخلق الذي يجمل بالمرأة المسلمة.

وتوصي الباحثة بعمل المزيد من البحوث التي تبرز القدوات الصالحات من الصحابيات ونساء السلف الصالح في ثوب معاصر قريب لجميع فئات المجتمع. إن التحديات التي تواجهها النساء اليوم تؤكد على ضرورة تناول موضوعات مثل حقوق المرأة في ضوء توجيهات الدين الحنيف وبما يعزز الهوية الإسلامية للمرأة المسلمة.

هذا، والله المسؤول أن يمن علينا بالإخلاص والقبول، وهو الموفق وعليه التكلان.

ج١، ص٢٦٧،النووي، **شرح النووي على صحيح مسلم**، ج١٥، ص٢١٠.